

الفصل السادس

الدول العربية المستقلة

في الهند والبنجاب

* الدولة الماهانية.

* الدولة السامية بالملتان.

* الدولة المعدانية في مكران.

* الدولة الهبارية ببلاد السند.

* الدولة العربية في الملتان.

الإمارات الإسلامية العربية المستقلة بالهند

الإمارات الإسلامية العربية.

المستقلة بالهند:

انقطعت تماما بعد خلافة المتوكل صلة العرب ببلاد السند ٢٤٩هـ / ٨٦٣م وأنشئت الدويلات المستقلة التي كان لها استقلالها الذاتي وكانت هذه الدويلات في الوقت نفسه تعتبر الخلفاء العباسيين أصحاب السيادة الروحية.

من الواضح أن أعمال السند كانوا مشغولين في معظم أوقاتهم في إخماد الثورات ضد الخليفة العباسي وكان هناك خلاف بين اليمينية والمضربة وأن كل منهما كان يريد السيطرة على الحكم، كانت هناك التنظيمات السرية للخوارج والروافض والإسماعيلية كانوا ينتشرون دعوتهم سرا ومن الناحية أخرى كانت هناك، بعض القبائل الهندية مثل الزط والميد كانوا يرفعون علم الثورة ضد العمال العباسيين.

والمقصود من هذا أن الجو في السند كان مشحونا بالخطر وأن العمال العباسيين كانوا يقضون معظم أوقاتهم في إخماد هذه الثورات والخلافات ولذلك فإن العمال العباسيين لم يتجهوا خارج السند.

الدويلة الماهانية سنة ١٩٨هـ / ٨١٣م:

في مثل هذه الظروف أقام مولى بنى سامة (الفضل بن ماهان) حكومته في عصر المأمون في السندان بعيدا عن السند بالسندان، ونلاحظ أن السندان لم يكن لها أى علاقة مع الخلفاء العباسيين بل أنها كانت من أراضي كجرات ملك بلهرا ونلاحظ أن المسلمين كانوا يحاولون السيطرة على هذه المنطقة من عهد عمر رضى الله عنه وأن الخليفة العباسي أبى جعفر كان أول من أرسل جيشا إلى هذه المنطقة ولكن لم يتحقق هدف العباسيين إلا فى عهد المأمون عندما المنطقة بن ماهان أن يفتح هذه المناطق.

أن الفضل بن ماهان كان سياسيا ناجحا ولذلك لم يقطع صلته مع الخلفاء العباسيين رغم أنه كان حرا في حكمه تماما،- لأن الفضل بن ماهان قد حقق بهذا هدفين أولا إرضاء الخليفة العباسي وضم هذه المنطقة إلى خلافة المسلمين ثانيا أنه كان مستقلا في حكمه تماما رغم ارتباطه الاسمي بخليفة العصر .

الدليل على قيام الدولة الماهانية:

وما قاله البلاذري في هذا المجال " وحدثني منصور بن حاتم قال: كان الفضل بن ماهان مولى بنى سامة فتح سندان غلب عليها وبعث للمأمون بقليل وكاتبه ودعا له في مسجد جامع اتخذه بها، فلما مات قام (محمد بن الفضل بن ماهان) مقامه فسار فى سبعين بارجة إلى الهند فقتل منهم وافتتح قالى ورجع وكاتب أمير المؤمنين المعتصم بالله وأهدى إليه ساجا لم ير مثله عظما وطولا، وكانت الهند فى أمر أخيه محمد فمالوا إليه، فقتلوه وصلبوه، ثم أن الهند غلبوا على سندان فتركوا مسجدها للمسلمين يجتمعون فيه ويدعون للخليفة .

أن هذا النص يشير بصراحة إلى أنه كانت هناك الدولة التى أقامها الفضل ابن ماهان بعد نصره على سندان ولكن البلاذري لم يشر كيف فتح الفضل ابن ماهان السندان هل كانت هناك أى مقاومة من جانب سكانها الأصليين؟ إن القرائن تشير إلى أنه لم تكن هناك أى مقاومة من جانب سكان السندان بل أن الفضل ابن ماهان قد فتح البلاد صلحا للأسباب الآتية:

١ - لو كانت وقعت أيها المقاومة لذكرها المؤرخ البلاذري .

٢ - من الواضح أن العمال العباسيين قد حاولوا بقدر إمكانهم أن يسود السلام والأمن فى المنطقة، ومن الناحية أخرى فإن العمال العباسيين فى الهند كانوا غير متعصبين ضد الديانات الأخرى .

ولا نجد فى كتب التاريخ أى تصرف منهم يشير إلى تعصبهم، ولكن الفاتحين العرب كانوا غير متعصبين وراعوا تعاليم الإسلام تماما خصوصا أن العامل

العباسى (هشام بن عمرو التغلبى) ونائبه قد أقاما أعمالا كثيرة لصالح البلاد ولذلك فإن الأمراء والسكن المجاورين للسند سمعوا عن هذا الخير والبركة ورحبوا بالفضل بن ماهان بدلا من أن يثورا ضده، أن المؤرخ البلاذرى يقول: " ثم إن الهند بعد وغلبوا على سندان فتركوا مسجدها للمسلمين يجتمعون فيه، ويدعون للخليفة " أن هذا النص يؤيد ما نذهب إليه لأنه لو غلب الفضل بن هاهان على السندان بالقوة فلماذا أعطى الهندوس المسلمين الحرية فى أداء شعائرهم الدينية والدعوة للخليفة أن كل هذا يشير إلى أن هذه الدويلة قد قامت بالصلح.

قال ياقوت الحموى عن سندان " قال نصر هى قصبه بلاد الهند ولا أدرى أى شىء أراه بهذا، فإن القصبه فى العرف هى أجمل مدينة فى الكورة والناحية ولا تعرف بالهند مدينة يقال لها سندان تكون كالقصبه وإنما سندان مدينة ملاصقة بالسند بينهما وبين الدليل والمنصورة نحو عشر مراحل ولم توصف صفة ما يستحق أن تكون قصبية الهند.

إن نصر ياقوت لم يقل بصراحة أن حكومة ماهان كانت على السندان ولكنه اعترف على الأقل بأنها كانت قصبه بلاد الهند التى تشير أهميتها ومن الجائر أنه يشير بهذا إلى حكومة ماهان حينما اعترف البلاذرى بوجود حكومة الماهانية.

من الغريب أن ياقوت الحموى قد بيدى الشك فى كلام نصر عن السندان بالرغم من أنه قد اعتمد عليه كثيرا فى كتابه حتى قال فى مقدمة كتابه عن نصر " ألفه أبو الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندرى النحوى فما اختلف واثتلف من أسماء البقاع فوجدته تأليف رجل ضابطه قد أنفذ فى تحصيله عمرا وأحسن فأما أنا فكل ما نقلته من كتاب نصر فقد نسبته إليه وأحلتة عليه ولم أضع نصبه ولا أخملت ذكره وتعبه والله يشبه ويرحمه " .

بعد هذا الكلام بيدى ياقوت الحموى الشك فى كلام بدون إبداء السبب وهذا كلام غير مفهوم على الإطلاق.

أن سندان كانت معروفة ومشهورة لذا زارها بعض الشعراء العباسيين
وذكروها في شعرهم منهم البحترى وأبو العتاهية هذا دليل على أهميتها مما يرجح
أنها كانت عاصمة في يوم ما .

قال البحترى :

ولقد ركبت البدر في أمواجه وركبت هول الليل في بياس

وقطعت أطوال البلاد وعرضها ما بين سندان وبين سجاس

وهكذا شاعر الزهد أبو العتاهية ذكر سندان في بيته :

ما على ذا كنا افترقنا لسندا ن وما هكذا عهدنا الاخاء

تضرب الناس بالمهند البيض على غدرهم وتنسى الوفاء

على كل حال أن حضور الشعراء في هذه الدويلة وذكرها في شعرهم تشير
على الأقل إلى أن المسلمين في هذه الدويلة كانوا أصحاب قوة وكانت لهم أهمية
كبيرة .

حكام الدويلة الماهانية:

إن التاريخ يشير إلى الذين حكموا هذه الدويلة كانوا ثلاثة أشخاص فقط :

١ - مؤسس الدويلة الفضل بن ماهان مولى بنى سامة .

٢ - محمد بن الفضل بن ماهان .

٣ - ماهان بن الفضل بن ماهان .

يقول المؤرخ البلاذرى عن مؤسس هذه الدويلة بقوله : " كان الفضل بن
ماهان مولى بنى سامة فتح سندان وولى عليها وبعث إلى المأمون رحمه الله بفيل
وكاتبه ودعا له فى مسجد جامع اتخذه بها " .

إن عصر المأمون يبتدئ من سنة ١٩٨هـ، / ٨١٣م وينتهي في سنة ٢١٨هـ/
٨٣٣م ويظهر أن الفضل بن ماهان قد أقام هذه الدويلة قبل ولاية المأمون بقليل أو
بعد ولايته.

على كل حال أن الفضل بن ماهان لم يقطع صلته بالخلافة بعد إقامة هذه
الدويلة بل أن يكتب إلى الخليفة الخطابات ويشيره في أمور الدولة، وظل يدعو
للخليفة في الخطب كما يظهر من كلام البلاذري وأن الفضل بن ماهان يقدر بنى
مسجدا في سندان وأن حكومته على هذه الدويلة كانت شخصية، ولذلك بعد وفاة
الفضل بن ماهان تولى ابنه محمد بن الفضل زمام الحكومة، يقول البلاذري عن
محمد بن الفضل بقوله: " فلما مات قام محمد بن الفضل بن ماهان مقامه فسار
في سبعين بارحة إلى ميد الهند فقتل منهم خلقا، وافتتح قالى ورجع إلى
سندان " .

إن المؤرخ البلاذري لم يشر إلى مدة حكومة محمد بن الفضل ولكن يظهر
أن الأمن والهدوء قد ساد في عصره ولذلك أنه توجه إلى مناطق خارج السند
وقضى على بعض قراصنة البحر الذين كانوا يسببون خسائر للتجار من عصر
(محمد بن القاسم) بهذا يمكن لنا أن نقدر أن قوته البحرية كانت قوية .

وفي أثناء غياب محمد بن الفضل تسلط أخوه ماهان بن الفضل على السلطة
يقول البلاذري عن هذا بقوله " ورجع إلى سندان وقد غلب عليها آخر له يقال بن
الفضل وكاتب أمير المؤمنين المعتصم بالله وأهدى إليه ساجا لم ير مثله عظما
وطولا وكانت الهند في أمر أخيه فمالوا عليه فقتلوه، ثم أن الهند بعد وغلبوا على
سندان فتركوا مسجدها للمسلمين يجمعون فيه، ويهدى للخليفة " يظهر في هذا
النص أن ماهان بن الفضل قد اغتنم فرصة غياب أخيه وتسلط على الحكومة وأنه
كان يحاول أخذ الاعتراف من الخليفة المعتصم بالله لمشروعية هذا الاغتصاب
ولذلك أنه بعث إليه الهدايا، ولكن الوقت كان في صالح محمد بن الفضل لأنه
حاول أن يسود الأمن والسلام في المنطقة .

ثانياً: أنه قضى على هؤلاء القراصنة الذين كانوا بمثابة خطر التجار وبهذه العملية قد ستر هؤلاء الناس كانوا مقيمين حول سندان ولذلك تسلط ماهان بن الفضل على السلطة وقد اعتبر اغتصاباً وأن الهندوس قد ثاروا عليه وصلبوه كما يقول المؤرخ البلاذرى. لعل هذه الدويلة قد انقرضت فى سنة ٢٢٧هـ، ٧٤١م فى آخر عهد المعتصم بالله ولذلك لا نجد أى نشاط لهذه الدويلة بعد هذه الفترة على الإطلاق.

إن أمراء هذه الدويلة كانوا من أتباع أهل السنة والجماعة كما كان سادتهم بنو سامة، أن أمراء بنو سامة كانوا يخطبون للخليفة على المنابر نفس هذه الظاهرة نجدها عند أمراء الماهانية حق أن اثنان منهم وهما الفضل بن ماهان وماهان بن الفضل قد بعثا بالهدايا هل السنة والجماعة كما كان سادتهم بنو سامة، أن أمراء بنو سامة كانوا يخطبون للخلى الثمينة إلى الخلفاء العباسيين.

أثر الإسلام فى سندان:

هل هذه الدويلة المسلمة العربية قد تركت أى أثر من الآثار الإسلامية فى السندان.

فى الحقيقة أننا لا نجد أى دليل مادى سوى المسجد الذى بناه مؤسس الدويلة الفضل بن ماهان، ولكن دلائل تشير إلى هذه الدويلة المسلمة قد تركت بعض الانطباعات الحسنة على غير المسلمين التى بقيت بعض انقراض هذه الدويلة وذلك رغم استيلاء الملوك الهندوكيين على السندان فقد تركوا العرب المسلمين حرية كاملة فى دينهم ومزاولة أعمالهم الدينية.

وقد زار سليمان التاجر هذه المنطقة بعد انقراض الدويلة الماهانية سنة ٢٢٧هـ، / ٨٤١م، وتحدث عن اطمئنان المسلمين فى هذه البلاد وذكر أن أهلها كانوا أكثر الناس حبا للعرب.

يقول المؤرخ المسعودى فى هذه الصدد " وليس فى ملوك السند والهند من

يعز المسلمين إلا ويعز الإسلام فالإسلام فى ملكه عزيز مصون ولهم مساجد مبنية والخمسين سنة فصاعدا وأهل مملكته يزعمون إنما طالبت أعمار ملوكهم لسنة العدل وإكرام المسلمين .

فى رأى أن هذه الانطباعات التى تركتها هذه الدويلة لا تقل عن أى آثر إسلامى مادى .

الدولة السامية بالملتان سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢م:

أما الدويلة الثانية التى قامت فى السند فهى دويلة محمد بن القاسم بن منبه الثانى وذلك يمكن أن نطلق عليها اسم الدويلة السامية نسبة إلى هذا المؤسس، ومحمد بن القاسم عربى قرشى كما ذكرت المصادر التاريخية .

وقد بدأت أنظار محمد بن القاسم تتطلع إلى الهند منذ كان واليا على عمان (٢٧٩هـ، ٨٩٢م)، التى تقع على الشاطئ المقابل للهند ويفصلها عندها خليج عمان، وقد تولى محمد بن القاسم بن منبه السامى عمان بعد أن أرسله الخليفة المعتضد للقضاء على فتنة الخوارج بها فنجح فى مهمته هناك: سؤال متى أقام محمد عبد القاسم السامى دولته فى الملتان؟

فى الحقيقة لا نجد أى شىء بهذا الصدد بوضوح ولكن يمكن لنا أن نستنتج من المصادر أن محمد بن القاسم السامى قد فتح الملتان أثناء حكمه فى عمان سواء أكان ذلك بنفسه أو عن طريق عماله رغم عن عدم تصريح المصادر بهذه الحقيقة، وذلك لأن المصادر كلها تؤكد أن فتح الملتان ثم فى عهد محمد بن القاسم وأن دولته فى عمان استمرت حتى عهد أبنائه إلى أن سقطت على أيدي القرامطة .

أما سبب قيامه بغزو الملتان فى ذلك الوقت فيمكن أن نقول أنه بعد قضائه على الخوارج فى عمان قد توجه لاستئصال بقيتهم فى الملتان لأنها كانت مركزا للخوارج .

آراء المؤرخين فى هذه الدويلة:

ومن المؤرخين الذين ذكروا هذه الدويلة ابن رسته (٢٨٠هـ / ٨٩٣م) ولكنه لم يشر إلى أنهم من أبناء محمد بن القاسم بل ذكر أن الملتان يحكمها قوم يدعون أنهم من أبناء سامة بن لؤى يقال لهم بنو منبه وأنهم يخطبون للخليفة العباسى ويدينون بالمذهب السنى، وقد كانت الملتان مصدرا كبيرا لثروة هذه الدويلة بما يقدمه إليه الحجاج الذين يفدون إليه من أنحاء الهند كما أن دولتهم كثيرا ما كانت تتعرض لهجمات الهند ملوك ولكن النصر كان دائما فى جانب بنى سامة لتمتعهم بالقوة واليسار.

بعد ابن رسته نرى المؤرخ المسعودى يتحرى عن هذه الدويلة الذى زار الهند بعد ثلاثمائة هجرية " وصاحب مملكة بلد الملتان رجل من قريش من ولد سامة بنى لؤى بنى غالب.

ويذكر فى مكان آخر وكان دخولى إلى بلاد الملتان بعد الثلاثمائة والملك أبو اللهب المنبه بن أسد القرشى.

ثم يذكر المؤرخ عن حالة هذه الدويلة قدرا من التفصيل " فأما صاحب الملتان فقد قلنا أنه من ولد سامة بنى لؤى بن غالب وهو ذو جيوش ومنتعة وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار وحول ثغر المسلمين الملتان من ضياعة قره عشرون ومائة ألف قرية مما وقع عليه الإخفاء والعدو فى على ما ذكرنا الصنم المعروف بالملتان يقصده السند والهند من أفاصى بلادهم بالندور والأموال والجواهر والنقود وأنواع الطيب ويحج إليه الألوفا من الناس.

إن كلام المسعودى يشير إلى بعض النقاط لابد أن تؤخذ فى موضع الاعتبار:

أولا: أن المسعودى عندما زار الهند وجد هذه الدويلة قديمة ولكن يوجد فيها نظام التوارث لأنه كان يحكم فى ذلك الوقت حفيد محمد بن القاسم أبو اللهب منبه بن أسد، من المعروف أن ابن رسته لم يذكر اسم محمد بن القاسم بل

اقتصر على ذكر اسم (قوم بنى منبه) أن هذا يشير إلى أن الحكومة كانت فى الأولى الشورى ولكن بعد تولية أسد بن القاسم أصبحت الحكومة ملكية متوارثة .

بعد ذلك نجد الأضطخرى (٣٤٠هـ / ٩٥١م) يذكر عن هذه الدويلة: وكان لأمرء هذه الدويلة معسكر خاص يبعد عن الملتان بنصف فرسخ فقط يقيمون فيه بصفة دائمة يسمى (جنداور) ولا يخرجون منه إلى الملتان إلا فى يوم الجمعة فيذهب الأمير إلى الصلاة راكبا فيلا وكان هؤلاء الحكام مستقلين سياسيا عن حكم المنصورة الذين كانوا موالين للعباسين أيضا .

إن ابن حوقل (٣٥٨هـ / ٩٦٨م) آخر من تكلم عن هذه الدويلة أنه لم يقدم شيئا جديدا إلا تكرار بما قاله الأضطخرى .

القضاء على هذه الدويلة:

نحن لا نعرف متى وكيف انقرضت هذه الدويلة ولكن ما نعرفه أنه قد أعقبها دولة أخرى إسماعيلية تابعة للفاطميين فقد ذكر المقدسى (٣٧٥هـ / ٩٨٠م) أهل الملتان شيعة يهو علون فى الآوان ويشنون فى الإقامة .

ويذكر فى موضع آخر "وأما الملتان فيخطبون للفاطميين ولا يحكمون ولا يعقدون إلا بأمره" .

على كل حال أن هذا يثبت أن الذين تولوا حكومة جديدة كانوا الفاطميين وإن كان لهم اعتقاد بالخلفاء الفاطميين فى مصر .

ولكن هناك سؤال هل أن بنى منبه قد غيروا مذهبهم من السنة إلى الشيعة؟ أو حل مكانها أسرة جديدة؟

فى الحقيقة لا نجد جوابا صريحا على هذا السؤال ولكن المؤرخ البيرونى يلقى ضوءا فيذكر أن القرامطة استولوا على الملتان، وكسر أحد زعمائهم يدعى جلم ابن شيبان صنم الملتان الذى حاف؟ عليه بنو سامة بن لوى وقتل سدنته وحول بيت الصنم إلى مسجد - ولم يكن فى استطاعته خلفاء بغداد العباسيين أن

يساعدوا أتباعهم بنى لؤى لضعفهم ولبعد المسافة بينهم وبينما كان دعاة العلويين قد جاءوا إلى الهند ونجحوا فى جذب بعض سكانها إليهم ومن هؤلاء الدعاة جلم ابن شيان الذى أرسله الخليفة المعز الفاطمى لنمشر دعوته بالهند .

وقد انقرضت هذه الحكومة الإسماعيلية على يد السلطان محمود الغزنوى فى سنة ٣٦٩هـ / ١٠٠٥م عندما بلغه أن أبا الفتوح والى الملتان يعتنق مذهب الباطنية وأنه يدعو

أهل ولايته إلى مذهبه وفر هذا الوالى أمام السلطان الغزنوى وبذلك عادت الملتان إلى المذهب السنى وأصبحت فى أيدي الغزنويين المواليين للعباسيين .

المذهب الدينى لأمرء بنى سامة:

إن المؤرخ ابن خلدون قد صرح أن بنى سامة فى عمان كانوا يعملون على المذهب السنى ويتظاهرونها ولكن لا نجد أى تصريح واضح عن أمرء بنى سامة بملتان فى هذا الصدد ولكن القرائن تشير أنهم كانوا سنيون أولاً: أنهم كانوا من أسرة بنى سامة الذين كانوا يحمون فى عمان ثانيهما: أنهم كانوا يذكرون أسماء الخلفاء العباسيين فى الخطب ويدعون لهم، ثالثاً: أن أكبر دليل لسنتهم أن هذه الحكومة قد انقرضت بأيدي الإسماعيليين .

العلاقة مع الخلفاء العباسيين:

إن هذه الدولة قد استقلت عن الخلافة العباسية ولكن صلة دينية كانت باقية مع الخلافة أنهم كانوا يذكرون أسماء الخلفاء العباسيين فى الخطب، يقول ابن رسته فى هذا الصدد "وهم يدعون لأمير المؤمنين " يقول الأصبخري " ولا يطيع صاحب المنصورة إلا أنه يخطب للخليفة " ويقول ابن حوقل " وهو ليس فى طاعة أحد وخطبته لبني العباس " .

إن هذه القوال تشير إلى أنه كانت لهم علاقة مع الخلافة العباسية .

الدويلة المعدنية فى مكران سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م

لقد بدأت علاقة المسلمين بمكران منذ عهد معاوية رضى الله عنه . يذكر المؤرخ البلاذرى أن مكران فد قتحت عنوة فى عهد معاوية بن أبى سفيان على يد سنان الهدلى الذى ولاه زياد على هذا الثغر ، فقام بتعمير مكران وضبتها ، واستقر بها .

ويرى ابن الكلبي أن فتح تم على يد (حكيم بن جبلة العبدى) ، ثم تولاها راشد بن عمرو الحديدي من الزد ، فاتجه إلى توسيع نفوذه فغزا القيقان والميد أثناء ذلك فتولى من بعده سنان بن سلمة المذكور فأقام بها سنتين .

على كل حال لا نجد فى التاريخ الإسلامى أى حاكم عربى مسلم حكم عليه إلا سنان بن سلمة وراشد بن عمرو الحديدي ولكن عندما ندخل فى القرن الرابع نجد أن الظروف قد تغيرت فى مكران لصالح شخص المعروف بعيسى بن معدان أنه أعلن حكومته المستقلة وإن هذا الشخص كان معروفًا فى لغة سكان مهران باسم "مهرج" إن المؤرخ الأصبخري أشار إلى هذه الحكومة بقوله " والمتغلب عليها رجل معروف بعيسى بن معدان وسمى بلسانه مهرج ومقامة مدينة كيز "

إن ياقوت الحموى قد نقل نفس عبارة الأصبخري ولمنه حدود وقت استقلاله بها بقوله " والمتغلب عليها فى حدود سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م رجل يعرف بعيسى بن معدان ويسمى بلسانهم مهرج ومقاومة مدينة كيز .

والمعلومات التى لدينا عن عيسى بن معدان قليلة فنحن لا نعرف شيئًا عن أسرته ولا منشئته .

ويتبين ما ذكرته المصادر التى رجعنا إليها أنه قد استولى على مكران بقوته الذاتية ولم يكن تابعًا لأية قوة أخرى تشر المصادر إلا انه كان خاضعًا للعباسيين أو أنه كان يخطب باسمه .

وقد تولى الحكم بعد ابنه معدان بن عيسى بن معدان ونحن لا نجد فى كتب

التاريخ أكثر من هذا فلما توفى هذا الأمير سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م حدث بين والديه عيسى وأبى العساكر فاستبد عيسى بالولاية والمال فسار أبو العساكر إلى خراسان وطلب من مسعود بن محمود بن سبكتكين حاكم غزنة النجدة فسير معه عسكريا وأمرهم بأخذ البلاد من عيسى أو الاتفاق مع أخيه على طاعته فوصلوا إليها ودعوا عيسى إلى الطاعة والموافقة فأبى وجمع جمعا كثيرا بلغوا ثمانية عشر ألفا وتقدم إليهم فالتقوا فاستأمن كثير من أصحاب عيسى إلى أخيه أبى العساكر فانهمز عيسى ثم عاد وحمل فى نفر من أصحابه فقتل واستولى أبو العساكر على البلاد ونهبها ثلاثة أيام " وهكذا تولى أبو العساكر الحكم بمساعدة الجيش الغزنوى فخضع للغزنويين وأمر بذكر اسم السلطان فى الخطب كما أشار إليه ابن خلدون .

وقد ظلت دولة بنى معدان حتى انقرضت بيد السلطان غياث الدين الغورى فى سنة ٤٧١هـ وبذلك أصبحت مكران ضمن ممتلكات الغوريين الذى يدينون بالولاء للخلفاء العباسيين .

إن المؤرخين لم يبينوا السبب للقضاء على هذه الدولة ولكن القرائن تشير أنها انقرضت بسبب اعتناقهم مذهب الخوارج لأن المؤرخ المسعود يقول عن بلاد مكران وهى أرض الخوارج الشراة .

الدولة الهبارية ببلاد السند

٢٤٠ - ٤١٦ هـ = ٨٥٤ - ١٠٢٥ م

تنسب هذه الدولة إلى صحابي جليل دخل في الإسلام سنة ٨ هـ = ٦٢٩ م واسمه هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد، من قبيلة أسد القرشيه، وقد قدم واحد من ذرية ذلك الصحابي إلى بلاد السند واسمه المنذر بن زئير مع واليها الحكم بن عوانة الكلبي سنة ١١٢ هـ = ٧٣٠ م، واستقر في هذه البلاد وعين حاكما على مدينة "باتية" حيث تركز نفوذ أسرته، كما شغل أفراد تلك الأسرة مناصب حكومية مهمة سواء على عهد الأمويين أو على عهد العباسيين، ثم استقلوا بحكمتها ابتداء من ٢٤٠ هـ كما سبق القول، وعلى النحو التالي:

عمر عبد العزيز بن المنذر بن عبد الرحمن بن هباز ٢٤٠ - ٢٧٠ هـ -
٨٥٤ - ٨٨٣ م.

كان إقليم السند تابعا للخلافة العباسية اسما خلال هذه الفترة وقامت بينهما العلاقات التجارية والسياسية والثقافية، والدليل على ذلك أن الخليفة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ = ٨٦٩ - ٨٩٢ م) عين يعقوب بن الليث الصفارى حاكما عاما على تركيان وسجستان وكرمان، وكانت بلاد السند تخضع لإشرافه رغم سلطة الهباري ونفوذه الواسع وهذا يعنى اعترافه العباسية ولو من الناحية الشكلية ورضه بمن عينته مشرفا أو حاكما عاما. كذلك عين الخليفة المعتمد أخاه الموافق ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م حاكما عاما على الولايات الشرقية وكانت بلاد السند في نطاق إشرافه، كما كانت خطبة الجمعة في بلاد السند باسم الخليفة العباسي حتى نهاية القرن الخامس الهجري وذلك مظهر من مظاهر التبعية للخلافة.

ورغم وجود بعض الإضطرابات في المناطق الشرقية، فقد أحسن ذلك الوالى سياسة ذلك الإقليم، ونشر فيه الأمن والرخاء وتوحدت البلاد في ظل حكمه، ودخل بعض ملوك الهند

فى الإسلام زمن ولايته وقدم هدايا قيمة للخليفة العباسى، كما قدم ياقوتا نادرا على أستار الكعبة واستمر ذلك الوالى يقود البلاد بحزم وحقمة إلى أن توفى ٢٧٠هـ، وتولى بعده حسب نظام الوراثة ابنه .

عبد الله بن عمر الهبارى (٢٧٠ - ٣٠١هـ)

وافقت الخلافة على انتقال الحكم إلى عبد الله بعد وفاة والده، وقد ورث عن والده حكما مستقرا، قائما على أسس وقواعد متينة، مستندا إلى تأييد شعبى صنعته سنوات طويلة من حكم ناجح، ولذلك لم تنجح محاولة قام بها "الصمة ابن أبى الصمة" لانتزاع الحكم من عبد الله بن عمر، فقد انتهز فرصة غياب الوالى عن المنصورة وتوجه إلى "باتيه" وحاول أن يقول بانقلاب ضده فجهز عبد الله جيشا كبيرا وزحف به على المنصورة وهزم الصمة - وهو مولى لكنده واسترد مركز حكمه .

وفى سنة ٢٧٠هـ = ٨٨٣م كتب ملك سندی اسمه "مهروك بن زائك" يطلب من عبد الله بن عمر الهبارى أن يشرح له تعاليم الإسلام باللغة السندية، فأرسل إليه رجلا من أهل العلم شاعرا مكث عنده ثلاث سنوات يوضح أسس وقيم الإسلام ويترجم له معانى القرآن الكريم باللغة السندية وكان من ثمار ذلك أن هدى الله ذلك الملك إلى الإسلام. وظهرت أول ترجمة وأول تفسير لقرآن العظيم فى بلاد السند.

وفى عهد ذلك الوالى تعرضت مدينة الديبل، وهى حلقة الوصل بين بلاد السند وبلاد العرب، لحسوف شمسى استقر حتى منتصف الليل، ثم حدث زلزال مفاجئ، هز المدينة وقلب عاليها سافلها ولم يسلم من بيوتها إلا القليل، وفقدت المئات، وأصيب منها الآلاف، وضاعت مكائنها الإستراتيجية والتجارية .

وعلم الخليفة العباسى المعتضد بالله (٢٧٩ - ٢٨٩هـ) بما جرى لتلك المدينة، فأمر بمساعدة سكانها بكل ما يمكن من وسائل .

وقد استمر عبد الله بن عمر بحكم البلاد بحكمة وكياسة، ويحرص على الأمن والرخاء وتبليغ كلمة الله إلى أن توفي ٣٠١هـ بعد نحو ثلاثين سنة من الإدارة الناجحة الموفقة.

ولاية أبو المنذر عمر بن عبد عمرو الهباري ٣٠٢ - ٣٣٠هـ = ٩١٤ - ٩٤١م.

وفي عهد ولاية عمر هذه، بدأنا نسمع عن منصب الوزارة وعن أسماء وزراء لأول مرة في بلاد السند مثل الوزير رباح ووجدنا أن حاكم المنصورة أصبح يلقب بالسلطان بعد نحو نصف قرن من قيام الدولة العبارية، ذكر ذلك المؤرخ المسعودي وتحدث عن بعض من لقيهم من ذرية عمر بن عبد الله وابنيه محمد وعلى وعبد الله وحمزة وبعض ذرية على بن ابي طالب وآل أبي الشوارب عندما زار المنصورة ٣٠٣هـ = ٩١٥م.

وقد اتاحت الفرصة الكبيرة التي حكم خلالها عمر أن يقوم ببعض الإصلاحات المفيدة، فوسع مدينة المنصورة واهتم بضواحيها فأصبح ما للمنصورة من البقاع والقرى ثلاثمائة ألف قرية ذات زروع وأشجار وعمائر متصلة.

كما أعاد فتح بعض المدن حولها مثل مدينة "آلور" التي كان يجكمها زمن والده حالكم سندی يخضع لوالى المنصورة، وكانت البلاد مستقرة فى أيامه، ولا يذكر التاريخ شيئاً عن زمن وفاته، ويغلب على الظن أن ابنه الكبير "محمد" تولى من بعده، ثم تبعه أخوه "على" الذى أشار إليه ابن حوقل عندما زار السند ٣٤٠هـ = ٩٥١م، وكان الأسرة الهبارية لا تزال تسيطر على مقاليد الحكم فى المنصورة.

وإن ظهرت فى مكران دولة مستقلة تسمى الدولة المعدنية تحت قيادة "عيسى ابن معدان" الملقب بالمهراج " ٣٤٠هـ وتوارث أبناؤه الحكم إلى أن كانت سيادة الغزنويين.

وفى ٣٧٥هـ = ٩٨٥م زار المقدسى البشارى بلاد السند، ويفهم من عبارته أن المنصورة كانت لا تزال تحت حكم أسرة الهبارى وأن الخطبة فيها كانت باسم الخليفة العباسى عضد الدولة وأن أهلها كانوا سنيين ويتبعون فى الفروع مذهب أبى حنيفة النعمان، وأن بدأ مذهب داود الظاهرى ينتشر عند بعض العلماء فى المنصورة.

الشيعية فى المنصورة بالسند

٤٠٢ - ٤١٦ هـ = ١٠١١ - ١٠٢٥ م

أرسل عبيد الله المهدي الشيعى أول إلى بلاد السند ٢٧٠ - ٨٨٩ م فى عهد عبد الله بن عمر الهبارى وكان اسمه الهيثم رسول عبد الله المهدي وقد بدأ اتصالات بالعلماء وأ: ابر البلاد، ويشر بالمذهب الشيعى مستغلا بعد المسافة بين هذه البلاد وبين مركز الخلافة العباسية، ولكن جهوده لم تثمر فأثر الانتقال إلى الملتان فى إقليم البنجاب، ويبدو أن الداعية الأول حقق نجاحا فى هذه المنطقة فتابع الدعاة عليها، وقاموا بمهمتهم فى نشاط ودأب ساعد على إقامة دولة باسمهم فى الملتان بعد نحو قرن من الزمان وكان يقودهم داعية قدير اسمه جلم بن شيبان، وما لبث أن التف حوله القرامطة القادمين من البحرين وبلاد فارس، وأقاموا أول دولة إسماعيلية بشبه القارة الهندية، بقيت ردحا من الزمان حتى تمكن الغزنويين من القضاء عليهم.

ومن الخطوات التى اتخذها العباسيون لمواجهة الشيعية فى المنصورة إرسال عالم كبير وهو محمد بن أبى الشوارب وتعيينه قاضيا على بلاد السند، بهدف مواجهة القيادات السياسية والفكرية الغربية على هذه البلاد، ورغم موت ذلك القاضى بعد أشهر معدودات. إلا أن أسرته ظلت تتوارث منصب القضاء، وحين زار المسعودى المنصورة ٣٠٣ = ٩١٥ م كان قاضى العاصمة واحدا من هذه الأسرة.

وقد كتب ابن الأثير عن الحالة فى بلاد السند ٤١٦ هـ = ١٠٢٥ م، وذكر أن سكان العاصمة قد اعتنقوا المذهب الشيعى منذ سنوات قليلة - ولا ندرى متى استولى الشيعية على الحكم فى المنصورة؟ حكام الشيعية من الملتان ولو كان لهم وجود فى المنصورة، لوجه إليهم الغزنوى قوات قضت عليهم.

والغالب على الظن أن الشيعة الذين هربوا من الكلتان، جمعوا صفوفهم وذهبوا متحدين إلى المنصورة وأستولوا عليها نحو ٤٠٢هـ متتهزين فرصة ضعف أسرة الهبارى آنئذ.

محمود القرنوى يستولى على السند

فى ٤١٦هـ = ١٠٢٥م قام السلطان محمود الغزنوى بحملة على المنصورة للقضاء على سلطة الشيعة فيها، وذلك بعد نجاحه فى فتح سومانت Somnath من بلاد الهند، ففى طريقه عائدا إلى غزنة، توجه نحو المنصورة عاصمة السند ونحو ملتان.

ورغم أن قبائل الزط Jats والميد Meds قتلت عددا من جنود السلطان ونهبت أمتعته إلا أنه استطاع أن يصل إلى المنصورة، وعلم حاكم البلاد بقدمه واختبأ مع أتباعه فى غياض واسعة بالمنطقة، فحاصروهم جيش السلطان، وحمل عليهم من الناحيتين وقتل عددا كبيرا منهم، وفر آخرون فغرقوا فى النهر وبذلك انتقل الحكم إلى الغزنويين السنيين فى كل من السند والملتان ابتداء من أوائل القرن الخامس الهجرى، وأصبحت لهم السادة من غرنة وحتى دلهى.

الدولة العربية في الملتان بإقليم البنجاب

٩٤-٤٠١هـ = ٧١٢-١٠١٠م

فتح محمد بن القاسم بلاد الملتان ٩٤هـ أثناء بشبه القارة الهندية، وكان أول حاكم مسلم تولى على هذه البلاد بعد فتحها هو داود بن وليد العماني، ويبدو أن هذا الحاكم قد استقل بالملتان بعد الاضطرابات التي أعقبت عزل محمد بن القاسم، ولم يعد هناك اتصال مباشر بين هذا الحاكم وبين حكام إقليم السند، وإن بقي يخطب باسم الخليفة الأموي ثم العباسي ويظهر ولاءه لهما.

وفى ١٥١هـ = ٧٦٨م زمن الخليفة المنصور، كان والى السند هو هشام بن عمرو التغلبي، وقد أشار عليه البعض بأن يعمل على توحيد البنجاب مع السند، لأن ذلك ييسر عليه فتح أقاليم جديدة ببلاد الهند، فقام هشام بحملة على الملتان وفتحها، ثم تصالح مع أميرها العربي، وعاد إلى "قندهار" ليقتضى على اضطرابات قامت بها ومنها عاد إلى المنصورة دون أن يكمل فكرة فتح مناطق جديدة في بلاد الهند ويبدو أن الأحوال كانت مستقرة ولم يجر في هذه البلاد ما يلفت النظر، فقد سكت المؤرخون عن رواية ما يحدث بها لمدة ثلاثين سنة.

وفى سنة ١٨١هـ = ٨٩٧م أنشئت حدة القتال بين القبائل العربية، وخشى والى السند من الحجازيين الذين انحاز ضدهم، فهرب إلى الملتان ولما أوصد أهلها الباب في وجهه، أراد دخول المدينة بالقوة قتال انهزم فيه والى "السند وفر تاركا وراءه سلاحه ومناجعه، ومرة أخرى يصمت التاريخ عن أخبار الملتان مدة تسعين عاما إلى أن يخبرنا ابن رسته عن قيام دولة بنى سامة بن لؤى أو الدولة السامية بزعامة محمد بن القاسم السامي بالملتان عندما زار بلاد السند والهند ٢٩٠هـ.

ثم بدأ يزو الملتان مؤرخون وجغرافيون، ويكتبون معلومات عن الأحوال السياسية والمذهبية والاجتماعية والاقتصادية بتلك البلاد فيقول ابن رسته أن حكام

الملتان هم بنو سامة بن لؤى أو بنو منبه من قريش وأنهم من أهل السنة وولاؤهم للخليفة العباسى وهكذا يتضح أن بنى سامة هم أنفسهم بنو منبه وأن هذين اسمان لأسرة واحدة ويبدو ذلك جليا مما يلى .

زار المؤرخ السعودى الملتان ٣٠٣هـ = ٩١٥م وكتب عن أخبارها وذكر أن حكامها العربى من ولد "سامة بن لؤى بن غالب" ويسمى "أبو اللباب منبه بن أسد القرشى" ، ويظهر من عبارة المسعودى أن أول حاكم لهذه المنطقة كان اسمه منبه وأنه من أسرة "سامة" وقد نسب بعض المؤرخين تلك الأسرة إلى "منبه" كما نسبها آخرون إلى الأسرة التى ينتمى الحاكم إليها .

كذلك زار الجغرافى الأصبخرى "الملتان أيضا سنة ٣٤٠ وذكّر أن حكامها رجل قرشى من ولد لؤى، وأوضح أنه تغلب عليها ولا يخضع لوالى المنصورة وأنه يدعو للخليفة العباسى فى خطبة الجمعة، فالحاكم إذن هو منبه بن أسد بن لؤى القرشى .

ونفس الشئ نجده عند "ابن حوقل" الذى قدم لزيارة الملتان ٣٦٧هـ = ٩٧٧م وذكر أن حكامها هو بنو منبه وأنهم على مذهب أهل السنة وأنه سمع الناس فى السند يتحدثون العربية والسندية، ولاحظ صداقة حميمة وسمحة بين السكان المسلمين والهندوس .

ويخبرنا المقدسى بتطور حدث فى بلاد السند حين زارها سنة ٣٧٥هـ، فقد سافر منها إلى الملتان، وذكر أن حكام الملتان قد أصبحوا من الشيعة أنثذ يقول: "وأهل الملتان، وذكر أن حكام الملتان شيعة يهو علون ويشنون فى الإقامة .

حكومة الشيعة فى الملتان ٣٧٥ - ٤٠١ = ٩٨٥ - ١٠١٠م.

ليس معروفا على وجه التحديد الزمن التاريخى الذى استولى فيه الشيعة على مقاليد الحكم فى الملتان ويمكن أن القول بصفة عامة أن زعماء الشيعة أدرکوا أن الثورات العلنية لن تحقق هدفهم فى حكم الدولة الإسلامية، فلجأوا إلى التقية

والتستر والمبالغة فى التمويه والاعتماد على حجة يعهد إليه بأمر تنظيم الدعوة، ونشر الدعاة فى سائر أجزاء الأرض، وقد اتخذ الإمام الحجج وأمرهم أن يتسموا باسم الإمام، "فمن أخذ العهد على مستجيب سمي له أولئك الحجب والحجج حتى يمضى الوهم إليه سترا على صاحب الأمر، وكان الدعاة فى البلاد المختلفة لا يتفقون على اسم الإمام حتى لا ينكشف أمره.

ورغم ذلك فقد ظهر أمر هؤلاء الدعاة فى عهد الخليفة المأمون العباسى، وكان إمامهم الذى يدعون إليه هو "عبيد الله بن محمد بن إسماعيل"، وقد فتك العباسيون بأسرته، واضطر هو للهرب إلى "سليمة" من أعمال حمص بالشام ولم يبيح لأحد بأسرار دعوته.

ومنذ ذلك الحين ويرجح أنه ٢٠٦ = ٨٢١م وسليمة هى مركز الدعوة الشيعية ومنها يرسل الدعاة إلى البلدان المختلفة ويحرصون على إخفاء اسم الإمام الذين ينشرون الدعوة باسمه.

ومعروف أن هؤلاء الدعاة نجحوا فى مهمتهم، وتوجت جهودهم بقيام الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب ٢٩٦ = ١٩٠٨م ثم انتقلت هذه الدولة إلى مصر وأسست مدينة القاهرة واتخذتها عاصمة لها ٣٥٨هـ = ٩٦٨م فى عهد المعز لدين الله الفاطمى.

وفى عهد ذلك الخليفة كان قاضية النعمان بن محمد الفاطمى يتولى منصب داعى الدعاة ويشرف على إرسال الدعاة إلى البلدان المختلفة ومن بينها بلاد السند والمثلتان، وقد ذكر فى كتابه "افتتاح الدعوة" أن الداعى الكبير أبا القاسم بن حوشب المعروف باسم منصور اليمنى، قد أرسل ابن عمه المسمى "هيثم" داعية إلى المثلتان، وأنه قد نجح فى جذب كثير من سكانها إلى المذاهب الشيعى.

وفى نحو ٣٥٣هـ = ٩٦٤م أرسل الخليفة الفاطمى داعية إلى المثلتان اسمه "جلم بن شيان" أخذ يتردد بين مصر والمثلتان لمدة ١٨ سنة يدعو للمذهب

الشيعة، وفي عام ٣٧٥ أمر العزيز بالله الخليفة الفاطمي الثاني بمصر (٣٧٥ - ٣٨٦هـ) بتجهيز جيش كبير وإرساله إلى الملتان للاستيلاء عليها بالقوة، وقد اتجه ذلك الجيش بقيادة جلم بن شيبان على ذلك الإقليم عن طريق خراسان التي كان بها شيعة كثيرون، وفي الوقت الذي وصل فيه هؤلاء الجنود إلى الملتان قام الشيعة بإضطرابات من داخلها، وساعدت الأوضاع الداخلية والهجوم الخارجي على سقوط الدولة العربية بها.

بعد ذلك تولى: جلم بن شيبان " حكم الملتان باسم الدولة الشيعية بمصر، وضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي، ودعا له في خطبة الجمعة اعتبارا من ٣٧٥هـ = ٩٨٥م، وأمر بكسر صنم المعبد الذي كان موجودا في الملتان، وأبقاه محمد بن القاسم عند فتحة لهذه المنطقة سنة ٩٤هـ = ٧١٢م بعدة أن علق لحم بقر في عنقه استخفافا به، وقد بنى جلم بن شيبان مكان المعبد مسجدا جامعاً وقتل سدنته. . ، وأغلق المسجد الذي بناه ابن القاسم لأنه كان رمزا للأمويين وأصبحت الملتان مركزا ثقافيا وموطنا يقصده الشعراء ورجال العلم والفكر وأصبحت البلاد منطقة جذب للتجار والكتاب والدعاة.

وقد عمل الوالي على تنظيم أمور الملتان إداريا وسياسيا ونظم الدعوة للمذهب الشيعي، وحرص على إقامة علاقات ومعاهدات صداقة بينه وبين الحكام الهنود، فقد كان يشعر بالغزلة وسط بلاد إسلامية تابعة للخلافة العباسية، ولم يكن من السهل أن ينجده الخليفة الفاطمي من القاهرة إذا ما تعرض لهجمات عليه، نظرا لبعده المسافة بين مصر وبين الملتان.

ولا يعرف متى انتهى حكم " ابن شيبان " للملتان، ولكنه كان لا يزال حيا ٣٨١هـ = ٩٩١م وعلى كل حال، فقد تولى الحكم من بعده الشيخ حميد عقد صلحا مع السلطان سبكتكين، سلطان غزنة ٣٨١هـ / ٩٩١م.

ذلك أنه كان بحكم المعاهدات بين حاكم الملتان الشيعي وبين أمراء الولايات الهندية، قام حاكم الملتان سرا بمساعدة أمير " لاهور " في حرب نشبت

بينه وبين الغزنويين، وعلم السلطان سبكتين بذلك فقرر التوجه إلى الملتان ومحاربة أميرها ٣٨١هـ = ٩٩١م. . وعلم بذلك الشيخ حميد وخشى العواقب، فعقد صلحا مع السلطان.

ولا نعرف شيئا عن "حميد" هذا أكثر من اسمه، ولا يذكر التاريخ شيئا عن صلته بالحاكم السابق ولا عن منزلته في الدعوة الشيعية ولا عن مدة ولايته، فقط نعرف أن المعاهدة بين حميد الشيعي وبين السلطان سبكتين ظلت سارية المفعول حتى وفاة ذلك السلطان ٣٨٧هـ / ٩٩٧م وأن الذي تولى الحكم من بعد الوالي حميد حفيده أبو الفتوح داود بن نصر بن حميد ٣٩٥هـ = ١٠٠٤م.

وقد تولى حكم الغزنويين بعد وفاة السلطان سبكتين ابنه السلطان محمود الغزنوي، وبعد أن فرغ من مشاكل خراسان، بدأ حملته على بلاد الهند ٣٩٢هـ = ١٠٠١م وفتح منطقة تجاور قندهار كانت تابعة لأمر لاهور. وفي ٣٩٥هـ بدأ أبو الفتوح داود بن نصر الوالي الشيعي على الملتان يسئ إلى معاهدة الصلح بينه وبين الغزنويين.

فقد كانت هناك قلعة حصينة في منطقة بهاتية المتصلة بإقليم الملتان، وكانت هذه القلعة تابعة للاهور، ووقع خلاف بين حاكم تلك القلعة وبين السلطان محمود الغزنوي جعل السلطان يتوجه إليه بجيشه عبر الملتان، وحارب حاكم القلعة وهزمه، فانتحر الرجل نتيجة لذلك، وأخذ السلطان محمود الغزنوي على والي الملتان الشيعي، مساعدته سرا لحاكم تلك القلعة بزعم ما بينها من معاهدات صداقة ومناصرة عسكرية، وكنتم ذلك في نفسه إلى حين.

وفي ٣٩٦هـ = ١٠٠٥م جهز السلطان محمود جيشا كبيرا بهدف التوجه إلى الملتان والقضاء على دولة الشيعة التي باتت تمثل خطرا على الوجود الغزنوي، وبعد حصار للمدينة استمر سبعة أيام تم عقد صلح بين الطرفين، يدفع حاكم الملتان بمقتضاه جزية للسلطان مقدارها ٢٠٠٠ ألف درهم سنويا، كما تم الاتفاق على أن تكون المنطقة المتصلة بنهر السند عند الملتان تابعة للغزنويين، وبذلك أصبح

من اليسير على السلطان محمود أن يقوم بحملة مباشرة على الملتان من هذه الناحية إذا اقتضى الموقف ذلك، وعاد السلطان بعد ذلك إلى غزة.

حدث بعد ذلك أن تعرضت بلاد خراسان لحملة معاوية ودخل السلطان محمود في حرب ضد أعدائه في هذه المنطقة، فانتهاز حالكم الملتان الشيعي الفرصة وألغى المعاهدة وأعلن استقلال بلاده ورفض دفع الجزية المتفق عليها.

لما انتهى السلطان من أعدائه في خراسان توجه نحو الملتان وقام بحملة شديدة قتل فيها وأسر كثيرا من الشيعة، وكان الوالي داود نفسه بين الأسرى، فأخذ السلطان مقيدا وألقى به في سجن "غزة" أو قلعة عورك حتى مات، وأصبح الملتان جزءا من الدولة الغزنوية وسقطت الدولة الشيعية بها وعين فيها السلطان حاكما سنيا ٤٠١هـ = ١٠١٠م.

وقد قدمنا أن الشيعة الذين فروا من الملتان، أمكنهم التوجه إلى المنصورة عاصمة السند، واستولوا على الحكم بها، وظلوا يحكمونها من ٤٠٢ حتى ٤١٦هـ = ١٠١١ - ١٠٢٥م، ففي السنة الأخيرة توجه الغزنويون بقواتهم إلى المنصورة واستولوا على مقاليد الأمور وبذلك عادت بلاد السند والملتان بالنجاب إلى الحكم السنّي مرة أخرى تحت قيادة السلطان محمود الغزنوي والدولة الغزنوية، وتلك حقبة أخرى من التاريخ، تمثل مرحلة ثانية من التاريخ الإسلامي لشبه القارة الهندية، لقد انتهت المرحلة الأولى بإتمام فتح السند وشمال غربي البنجاب ٩٦هـ - ٧١٤م، وقد بقي الحال على ذلك على امتداد نحو ثلاثة قرون، حيث لم تكن توسعات أكثر للسيادة الإسلامية التركية في "غزة" والتي سلكت الطرق الجنوبية الغربية التقليدية لفتح شبه القارة الهندوباكستانية، وذلك حديث آخر.
